رأي وحوار

استفتاء في قضية تختص بتجديد فهم الدين:
ما هي أيام الحج في العالم المعاصر؟

عبد الحميد أحمد أبو سليمان*

مقدمة:

انطلقت في الذهن في ظل الظروف المعاصرة، تساؤلاتٌ أظن أنها توجب التجديد في فهم الدين؛ أي إعادة تنزيل مفاهيم القرآن الكريم ومبادئه وقيمه وتشريعاته على ما يجدُّ من احتياجات العصور وإمكاناتها؛ لأنَّ هذه المفاهيم والمبادئ والقيم والتشريعات تتعدى بطبيعتها الزمان والمكان، لتتنزّل على واقعِ العصورِ اللاحقة التي تتصف بالتغيّر في الإمكانات والاحتياجات.

أما التطبيقات النبوية والراشدة، المُنزّلة على ظروف العهد النبوي والراشدي، فالذي يستفاد منها في العصور اللاحقة، هو حكمة هذه التطبيقات، وتنزيلها على إمكانات عصرهم واحتياجاته، وهو ما يدعى "تجديد فهم الدين"، أو ما يدعى اليوم "الأصالة المعاصِرة"، أو "الأصالة والمعاصَرة"، أو "إسلامية المعرفة".

ومن الواضح أنَّ الاستفادة من حكمة التطبيقات، النبوية والراشدة، أو أي تطبيقات لاحقة سواها، لا يعني التقليد والمتابعة، دون وعي على ظروف ما سبق من القرون، وبذلك لا يؤخذ من هذه التطبيقات إلا ما يزال مناسباً للتطبيق للاحق المتغير من ظروف الزمان والمكان.

هذه المعلومة البَدَهية التي لا يصحُّ أن يجادل فيها من أهل العلم أحد، هي التي تثير عندي في ظروف هذا العصر، عدداً من التساؤلات، أوَّلُها حج البيت الحرام، وهو تساؤل

* دكتوراه في العلاقات الدولية، رئيس الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا سابقاً، ورئيس مجلس أمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي. البريد الإلكتروني: habdullatif@darmanar.org

أرى وجوب طرحه على مفكري الأمة وعلمائها وجمهورها، للتوصل إلى رأي، وإلى ممارسة فعلية عملية، تحقق غايات المفاهيم القرآنية، بما يناسب ظروف هذا العصر وإمكاناته.

أوّلاً: حج البيت ومستجدات العصر

ومما أسهم في إثارة هذا التساؤل عندي، هو أنني واحد من أبناء مكة المكرمة، حجَّ مع أبويه، منذ ولادته، حتى الثامنة عشرة من عمره، حين كانت الجِمال و"الشقادف"[١] هي الراحلة للحجيج، الذين لم تكن أعدادهم حتى الأربعينات من القرن التاسع عشر تتجاوز مئات الألوف، لمشقة السفر إلى البيت الحرام.

وكلنا يعلم أنَّ عدد الحجيج في حجة الوداع مع رسول الله ﷺ لم يزد عن مئة ألفٍ رجالاً ونساءً وأطفالاً. والذي يفسر محدودية عدد الحجيج، فيما سبق من العصور، هو أنَّ الإنسانية حتى نهاية القرن السابع عشر، كانت لا تزيد عن سبعمائة وخمسين مليوناً، وذلك لأسباب متعددة، منها ضخامة وفيات الأطفال، وسهولة انتشار الأمراض والأوبئة، وضعف القدرة أو عدم القدرة على مكافحتها. ومع تقدم الطِّب، لوحظ تناقص وفيات الأطفال، وتزايد القدرة على مكافحة الأمراض، وارتفاع متوسط أعمار البالغين. وهنا بدأ عدد سكان البسيطة يرتفع إلى أن بلغ اليوم نحو ٧،٢ مليار نسمة.

ومن أسباب الزيادة الهائلة -التي نشاهدها اليوم- في عدد سكان البسيطة، زيادة تحسين الإنتاج الزراعي، وتطور وسائل النقل؛ مما حقق تطوراً وتوسعاً، في تبادل السلع الغذائية، وغير الغذائية، لتُسكن مناطق لم تكن مسكونة من قبل إلا بالعدد الضئيل من السكان، كالجزيرة العربية. وكذلك كُشِفت ثروات لم تكن لتُطلب، أو يسعى أحد لاكتشافها كالبترول، لولا الحاجة إلى تلبية متطلبات الحياة لهذه الأعداد المتزايدة من سكان الأرض، ولولا التقدم المضطرد في العلم والتقنية، ووسائل الانتقال والتواصل، وسهولة تبادل السلع والمنتجات.

ولما كان الحج فريضة على كل مسلم، مرةً واحدة في العمر، ما بين سن الخامسة عشرة، حتى سن الخامسة والسبعين، زاد قليلاً أو انقص، وما زاد عن المرة الواحدة فهو

[١] جمع شُقْدُف وهو مَرْكَبٌ أكبرُ من الهَوْدَجِ، يستعمله العَرَبُ، وكان يَرْكَبُه الحُجَّاج إلى بيت الله الحرام.

تطوع، فإن هذا يعني، أن الجيل الواحد من المسلمين، يجب أن يحج كل واحد منهم مرة واحدة على الأقل في العمر، أي أن يحج في حوالي ستين عاماً، كل من بلغ الخامسة عشرة وحتى الخامسة والسبعين من العمر، مرة واحدة، ومن الواضح أن هذا يثير إشكالية المكان اللازم لاستيعاب الأعداد الهائلة التي يتوجب عليها الحج، مهما قلبنا وجه هذا الأمر، الذي نعايشه اليوم، ولا يخفى على أحد.

وبناء على ما سبق من الأسباب التي أدّت إلى تزايد نمو البشرية، بدأنا نرى الحجيج كل عام، لم يعد بالألوف، بل بالملايين، وأخذت المشاعر تضيق بالحجيج، رغم جميع الجهود الجادة لتوسعة المشاعر، بدءاً بالمسجد الحرام، وصولاً إلى رمي الجمرات، التي يتعرض فيها الحجيج، كما نرى كل عام، إلى كرب عظيم، قد يصل أحياناً إلى حد الموت دهساً بالأقدام، رغم كل جهود التوسعات المشكورة.

ولهذه الاعتبارات المعاصرة المستجدة، أفتى العلماء، أن يكون رميُ الجمرات، بدءاً من منتصف الليل، على غير حال السنة؛ إذ إنَّ الرسول ﷺ، قد رجم الجمرات، في وقت الزوال، وقد استجابت فتوى العلماء بصحة الرجم من منتصف الليل، إلى الحاجة الماسة إلى مضاعفة وقت الرجم، تخفيفاً عن الناس، فكانت هذه سنّة من السُّنن التي تم تجاوزها، تيسيراً على الحجيج، في ضوء الظروف والمتغيرات المعاصرة، كسنة قضاء ليلة يوم "التشريق" في منى، وقضاء الليل بعد النَّفرة، مساء يوم الوقوف بعرفة، في "المزدلفة".

من الواضح أن كل ذلك، إنما أفتى به العلماء، للتخفيف على الحجيج، في ظل الظروف المستجدة التي يواجهها الحجيج اليوم، ليتمكن أكبر عدد من المسلمين من أن يؤدي فريضة الحج، بأقل قدر ممكن من العناء.

كل هذه التيسيرات، بتجاوز ما ذكرنا من السنن، لم يبق معها عملياً، من الحج، إلا شعائره الأساسية، وهي ارتداء الإحرام، والوقوف بعرفة، مروراً بالمزدلفة، إلى ثلاثة أيام في "مِنى"، للنحر ولرمي الجمرات، والحلق أو التقصير، والطواف سبعاً بالبيت، والسعي سبعاً بين الصفا والمروة.

بل لمزيد من التيسير فإنَّ من وقف في عرفة، وطاف البيت وسعى، فإنَّ بإمكانه إن شاء، التعويض عن أي تجاوز لما بقي من شعائر رمي الجمرات، بنحر ذبيحة يكّفر بها عن التقصير، وتكون طعاماً للفقراء، وذوي الحاجة.

ثانياً: ضيق المكان يتحكم في عدد من يؤدي الفريضة

وهكذا فإننا للأسف، نرى اليوم، أنَّ أكثر الناس، ممن كان راغباً أو قادراً على الحج، فإنه يمنع من أداء فريضة الحج؛ لأن المشاعر، مهما اتسعت لا يمكنها أن تسع عشرات الملايين، ممن يجب عليهم الحج كل عام من المسلمين من مختلف أرجاء الأرض، وخلال ستين عاماً أن يحج الواحد منهم، على الأقل، أداءً للفريضة ولو مرة واحدة في العمر.

علماً أنه من غير المتصور، أن أيّ مسلم، في هذا الزمان، أياً كان موضع مسكنه من الأرض، أن لا يوفر خلال ستين عاماً، ما يكفي لرحلة تستغرق أسبوعاً واحداً في مكة، تكون وسيلته "السيارة"، أو "الطائرة"، في الحركة والتنقل، وليس "الإبل"، و"الحُمُر"، التي كانت تأخذ للوصول إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج شهوراً، أو أعواماً، إن لم يقض المسافر فيها أجله، قبل أن يصل إلى مكة المكرمة.

وبسبب محدودية المكان، في أيام الحج، نجد السلطات في الحرم، تفرض العديد من التدبيرات، التي تمنع المسلم من الحج، لا لضيق ذات اليد، بل لضيق المشاعر، التي لم تعد تتسع لجموع الملايين الذين يرغبون في الحج، ويقدِرون صحياً ومالياً عليه، ويمكثون في مكة المكرمة ما يقارب الأسبوع.

لما سبق من الأسباب، نجد السلطات في أرض الحرمين، قدّرت لكل بلد عدداً محدوداً، يسمح له كل عام بالحج، وبذلك يُحرم جلُّ المسلمين، من فرصة الحج، مما أدّى إلى استخدام وسيلة القرعة، ليفوز "المحظوظ" بالحج، أو وسائل أخرى.

والسؤال هنا لعلمائنا، ومفكرينا الأفاضل: هل من المقبول وحياً، وديناً، وعقلاً، أن يفرض الله سبحانه فريضة لا يمكن القيام بها؟!

يقيناً -في فهمي- أن هذا أمر لا يمكن عزوه إلى الله سبحانه وتعالى، إلا أن يكون لعلمائنا ومفكرينا، رأي أو فهم آخر، لا أعلمه، ولا يخطر على البال، ويكون من الواجب أن أطلب -كأي أحد آخر من أبناء الأمة- توضيح ذلك الرأي وذلك الفهم، لاستنارة الأمة، وتقبُّل فكرة عدم قدرة جُلِّ المسلمين من أداء ركن وفريضة فرضها الله على كل مسلم.

إنني هنا في محاولة الاستنارة، والفهم، في ظل ظروف العصر، وإمكاناته، وأنا لا أدعي حق الإفتاء، بل إنَّ الأولى بإبداء الرأي في هذا الأمر والفتوى فيه، يعود إلى علمائنا ومفكرينا وإلى إجماع الأمة. ولذلك فإنَّ ما أبديه من رأي هنا، إنما هو استفتاء بغية "التجديد"، وتمكين المسلمين من أداء فريضة إلهية، فرضت على جميع البالغين منهم، ليحققوا فوائدها، والغايةَ منها، وينالوا أجرها، في الدنيا والآخرة. فإن أصبت الرأي فبفضل من الله ونعمة، وإن أخطأت، فأدعو الله أن يكتب لي أجر سلامة القصد، ونية الاجتهاد.

وهكذا فإن الذي أراه على أساس من نصوص الوحي القرآنية أن "الدين" هو "الوحي" ولا شيء غير الوحي. وسوى ذلك تطبيقات على كل عصر بما يناسب واقعه ويستفاد من التطبيقات حكمَتَها.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)، ويقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، ويقول أيضاً: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١)، "فالدين" هو "الوحي"، حتى فيما أمر الله فيه اتباع النبي ﷺ، وهي الصلاة والزكاة، فلنقرأ بدقة ما يقوله الوحي القرآني بشأنهما.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة: ١٣). ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور: ٥٦).

وهكذا فإنَّ ركني الصلاة والزكاة يؤخذان بالأمر الإلهي "القرآني" عن الرسول ﷺ؛ إذ إنه لم ترد تفاصيلهما في القرآن الكريم. وهكذا فإنَّ القرآن الكريم أمر أن تؤخذ تفاصيل هيئة إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، عن الرسول ﷺ، وذلك على غير بقية الأركان التي فصّلها القرآن الكريم، وهي أركان الشهادتين، والصيام والحج.

ونحن نعلم أن الرسول ﷺ، قد صلّى، وقد زكّى، وقد تابعته الألوف عن الألوف، بما لا يقبل فيه الكذب، وهذا يعني أن صفة الصلاة والزكاة هي سُنّة متواترة كالقرآن الكريم لا تقبل الكذب. وهذا يعني أن القرآن هو الأصل في كل أمرٍ يتصل بالدين، كدين، وقيم، ومفاهيم، ومبادئ، على مر الزمن، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)،

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، وهذا يعني، أن التطبيقات النبوية، إنما هي تنزيل لرسالة الدين، والوحي، وقيمه، ومفاهيمه، ومبادئه، على واقع زمانه ومكانه عليه الصلاة والسلام، ليقيم بذلك الحُجة على الإنسانية، أن دين الإسلام، ليس "يوتوبيا"، أو "مدينة فاضلة"، بل هو رسالة إلهية هادية، يمكن تطبيقها، في كل زمان ومكان، وهذا هو مفهوم "التجديد"؛ أي أن يعاد تنزيل مفاهيم القرآن الكريم وقيمه ومبادئه، على متغيّرات الزمان والمكان، بما يناسب الزمان والمكان. ويحقق مفاهيم الدين، وقيمه وشريعته، فكل عصر "مكاناً" و"زماناً"، يختلف في كثير من الأحوال عما سبقه، وما يأتي بعده.

وهكذا، فإنه من الواضح، أنَّ تطبيقات الرسول ﷺ، على عهده، ليس فيها إضافة إلى الوحي(القرآن)، بل هو التبليغ، وأنَّ أهم ما يستفاد من التطبيقات النبوية والراشدة، وما تلاها، في لاحق العصور، إنما هو فهم حكمة تنزيل مفاهيم الدين وقيمه ومبادئه، للاستفادة منها في كل العصور اللاحقة والأماكن الأخرى، وفق الأحوال والظروف المتغيرة والمتجددة للزمان والمكان.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦). ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١).

وبهذا الفهم، فإنّ كل ما ورد عن الرسول ﷺ، من حديث صحيح، فإنما هو تطبيق وتعليم، من حكمة تنزيله عليه الصلاة والسلام، على واقع زمانه ومكانه، وبذلك فإن الرسول ﷺ قد أقام بذلك الحجة على الناس، في أن دين الإسلام نظام حياة هداية فطرية سليمة، يمكن أن يطبق في واقع الحياة والمجتمعات الإنسانية، فالرسول ﷺ، هو مبلِّغ وداعية ومعلِّم.

وهكذا؛ فإن صحَّتْ هذه الفرضيات، بناءً على ما سبق، فالسؤال: ألا يرى علماؤنا ومفكرونا، بعد مضي القرون، أنه قد آن الأون، لأن يؤدوا واجب "التجديد"، مستفيدين من حكمة تنزيل الرسول ﷺ على واقع الزمان والمكان، في تنزيل مفاهيم الدين وقيمه

ومبادئه على عالمنا المعاصر، وما طرأ على الإنسانية من تغيرات عظمى، على حاجاته، وإمكاناته، وسقوف معارفه، خاصة فيما يتعلق بأمر فريضة الحج، وتمكين أبناء الأمة من أدائها؟!

ثالثاً: المرجعية القرآنية في فريضة الحج في هذا العصر

كل ما سبق -في رأيي- يوجب علينا أن نعود إلى القرآن الكريم، لإعادة النظر في أمر أداء فريضة الحج، من منطلق القرآن الكريم، لا منطلق التطبيقات الحرفية لزمان العهد النبوي ومكانه، وتطبيقات قرون عديدة تلته بعد وفاة رسول الله ﷺ، حتى عصرنا الحاضر.

لقد كان سكان الأرض، كما ذكرنا قبل هذا العصر يعدون بالملايين، وعدد الحجيج بالألوف، وبذلك فإنه لا مجال للمقارنة، بما كان عليه الحال، على ما سبق من العصور وما هو عليه حال اليوم، حيث كان للحج مشقة عظيمة، يقطع الحاج فيها الشهور بل السنين، مشياً على الأقدام، وركوباً على الرواحل ليبلغ البيت الحرام في مكة المكرمة.

والسؤال لعلمائنا ومفكرينا: ما هو الحل، وعدد المسلمون يقترب من المليارين!؟ ألا يستدعي ذلك اجتهاداً وتجديداً يُمكِّن المسلمين، القادرين على أداء الفريضة، التي فرضها الله في كتابه العزيز عليهم، من أدائها، وتحقيق أنوارها الإيمانية، وإخائها الإسلامي الإنساني، في قلب كل مسلم؟!

إنني أرى -ولا أفتي- أنه يجب على الأمة وعلمائها ومفكريها وقادتها المخلصين، الرجوع إلى القرآن الكريم بشأن هذه الأزمة، ولا بد أننا سنجد أن نصوص القرآن الكريم صريحة في أمر الحج -لو أخذنا في اعتبارنا ظروف عصرنا- بما يمكّن كلَّ مسلم راغب في الحج مهما بلغ عدد الحجيج.

إنّه مما يسهم في عون أكبر عدد من المسلمين من أداء فريضة الحج -إلى أن تُحل أزمة محدودية المكان- أن ينصح كل مسلم سهّل الله أمره فأدى حجة الفريضة، أن لا يحاول أداء حجة أخرى، رحمة بمن عليه أن يؤدي فريضة حجه، وذلك لما نشاهده

ونلمسه من عناء الحج، وما يلاقيه الحجيج خاصة في رمي الجمرات والطواف بالكعبة إلى حد الموت دهساً. فمن يود ويرغب في الحج بعد أداء الفريضة -كلما أمكنه ذلك- ولم يفعل، فإن له ثواب نيته "إنما الأعمال بالنيات"، كما أن له أجراً آخر حين لا يفعله وبذلك يترك موضعه لمن هو أولى به لكي يحج حجة فريضته. ولعل الله يهدي إلى حل يمكّن الحج لكل من يريد أن يحج حجة فريضته، بل ومتى شاء أكثر من ذلك.

ولنبدأ أولاً بتدبُّر ما يقوله القرآن الكريم بشأن الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ١٩٧). وأشهر الحج هي شهر شوال، وشهر ذي القعدة، وشهر ذي الحجة. وللعلماء بشأن عدة أشهر الحج قولان:

القول الأول: إنَّ أشهر الحجِّ شهران وعشرة أيام وهي: شوال وذو القعدة وعشرٌ من ذي الحجة، وبه قال الجمهور من الشافعية والحنفية والحنابلة والمالكية، ومن الصحابة العبادلة الأربعة، وهم عبد الله ابن عمر وعبد الله ابن عباس وعبد الله ابن الزبير وعبد الله ابن عمرو بن العاص، ومن التابعين السدي والنخعي والشعبي.

القول الثاني: إنّ أشهر الحج ثلاثة أشهر كاملة وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة كاملة، وبه قال الإمام مالك رحمه الله، ورواية أخرى عن ابن عمر وابن عباس، وهو قول ابن مسعود، وقاله من التابعين عطاء ومجاهد وكيسان أبو طاووس المحدث.

والصواب: أنّ شهر ذي الحجة بأكمله يكون من أشهر الحج؛ لأن العبارة القرآنية هي(أشهر). لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ (البقرة: ١٩٧) أما الأشهر الحرم فهي أربعة: (ذو القعدة – ذو الحجة – محرم – رجب).

قال عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٣٦). وروى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: "السنة اثنا عشر شهراً، منها

أربعة حرم، ثلاث متواليات -ذو القعدة وذو الحجة والمحرم- ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان."[2]

وفي شهر رجب يبدأ الحجيج بالتوجه إلى البيت الحرام، وفي شهر المحرم يعود الحجيج إلى ديارهم سالمين غانمين آمنين في القدوم وفي العودة. وعلى الرغم من أن العُمرة مشروعة في جميع أشهر السنة، إلا أن المُشاهَد حِرْصُ كثيرٍ من المسلمين على أداء العمرة في شهور رجب وشعبان ورمضان، فقد ورد فَضْلُ العُمرة في شهر رمضان، وفي أشهر الحج: شوال وذي القعدة وذي الحجة وفي شهر رجب.[3]

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٦-٢٨).

وإذا اتضَّحَ في الذهن كل ما سبق، من اعتبارات وإشكالات، فهل الأولى أن نأخذ ونلتزم بمفاهيم آيات القرآن الكريم، وقيمه وتشريعاته، بدل أن نُصرّ على ما تعودناه وأَلِفْنَاه، على أساس التقليد، أن الحج هو أيام التاسع إلى الثاني عشر من شهر ذي الحجة، وحسب، دون اعتبار لمقتضيات الاجتهاد والتجديد في ضوء متغيرات الزمان والمكان، ولا سيّما العدد الكبير والمتزايد من المسلمين؟!

أو أنَّ الأصح هو أن نصرِف الآيات القرآنية إلى دلالة معناها القرآني اللغوي المبين، والذي يعني هنا، أنَّ كلَّ من رغب الحج من المسلمين في هذه الأشهر الثلاثة، فَلَهُ أن

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠٢م كتاب: المغازي، باب: حجة الوداع، حديث رقم٤٤٠٦، ص١٠٧٨.

[3] قال ابن رجب في لطائف المعارف: واستحبَّ الاعتمارَ في رجب عمرُ بن الخطاب، وغيره، وكانت عائشة تفعله، وابن عمر أيضاً. ونقل ابن سيرين عن السلف أنهم كانوا يفعلونه، فإن أفضل الأنساك أن يؤتى بالحج في سفرة، والعمرة في سفرة أخرى، في غير أشهر الحج، وذلك جملة إتمام الحج والعمرة المأمور به، كذلك قاله جمهور الصحابة: كعمر وعثمان وعلي وغيرهم. انظر:

- ابن رجب الحنبلي، الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، تحقيق: ياسين السواس، دمشق: دار ابن كثير، ط٥، ١٩٩٩م، ص٢٣٢-٢٣٣.

يحجَّ، وسيكون في صحبة مئات الألوف إن لم يكن الملايين، وبذلك يكون قد وَفَى شروط الحج، وجنى ثمارها الإنسانية الروحية (لتعارفوا) وهي الوقوف بعرفة، ورمي الجمرات، والطواف بالبيت سبعاً، وباتجاه حركة دوران الأرض، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً، والحلق أو التقصير.

ولإدراك ذلك، فإنّ من المهم، كما ذكرنا، التمعّن في النص القرآني، وإدراك أسرار دقة بناء ألفاظه، وتعبيراته، "بلسان عربي مبين"، وهو المنزل من لَدُن عليم حكيم.

يقول الله في كتابه العزيز: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة: ٢٠٣).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٢٩ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ (الحج: ٢٧-٣٠).

دعونا ننظر كيف عبّر القرآن الكريم، في وصف شعائر الحج، ولننظر بدقة إلى وصفها في القرآن الكريم "بالأشهر"، كما أن القرآن الكريم لم يعبّر عن "أيام" أداء فريضة الحج، بأل التعريف؛ أي "الأيام المعلومة"، ولكن عبّر عنها بالتنكير، فقال: "أيام معلومات" وهي يوم الوقوف بعرفة، ويوم النَّحر، وثلاثة أيام التشريق في منى لغير المتعجل، ويومان للمتعجل، لأنه لو عبّر القرآن في وصف "أيام" الحج بالتعريف، أي في "الأيام المعلومة"، لكان الحج كما تقتضي اللغة هو: فقط في الأيام "الأربعة" أو "الخمسة" من شهر ذي الحجة، التي حج فيها الرسول ﷺ في حجة الوداع، والتي ما زالت الأمة تتبع سنته عليه الصلاة والسلام.

وكما نعلم من أحوال عهد الرسالة أنه كان بإمكان من يصل إلى الحَرَم من أبناء الأمة في ذلك العصر عدداً أو عدة، لن يجد صعوبة في المكان لأداء الحج.

جميع ما سبق، يوضح لنا، أن كل من جاء مكة المكرمة مُحرِماً، ووقف بعرفة، وطاف البيت وسعى، ضمن شهور الحج الثلاثة، فإنه بالنص القرآني قد حجّ. ومن هنا فإن من المهم في هذه الرؤية أن نتيقن أن من أدّى الحجّ في أيِّ أربعة أيام من أشهر الحج الثلاثة، فقد حجّ حجاً صحيحاً يشاركه فيه مئات الألوف، أو الملايين، مثله في ذلك مثل العمرة، فكل من دخل مكة محرماً، وطاف وسعى، فقد اعتمر، مهما كان عدد من يعتمر معه، من الألوف تلو الألوف، رغم أن العمرة ليست فرضاً، ولكنها ذِكْرٌ وتعبُّد.

رابعاً: عيد الأضحى ويوم النحر

وهناك أمر آخر، جاء فيه التعريف دقيقاً، وهو أن أول يوم، بعد يوم الوقوف بعرفة يعرف "بيوم النحر" ولذلك نجد أبناءَ مكة المكرمة، لا يتحدثون عن يوم "عيد الأضحى"، بل عن "يوم النّحر"، لأنه في أي يوم ينحر الحاج أضحيته فهو "يوم نحر".

أمّا عيد الأضحى فهو يومُ عيد لكل المسلمين، وهو يوم العاشر من شهر ذي الحجة، الذي يجسد وحدة المسلمين، وفيه يتذكرون عظيم إيمان أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- بالله، وثقتهم المطلقة به، وطاعتهم له، حين أوحى الله إلى أبينا إبراهيم، أن يذبح ابنه إسماعيل، فتقبّل أبونا إبراهيم الأمر، كما تقبّل ابنه إسماعيل أن يذبحه أبوه طاعة لله وثقة به. وكيف كان الشيطان يتابعهما، ويوسوس لهما، ليثنيهما عن إنفاذ أمر الله، وكيف كان سيدنا إبراهيم يرجم الشيطان، غير مصغ له، لا هو ولا ابنه إسماعيل، وكيف أن الله سبحانه وتعالى فدى سيدنا إسماعيل، "بذبح عظيم"، فكانت تلك الأيام ودلالتها الروحية، هي يوم عيد، ويوم تضحية لكل الأمة، في مشارق الأرض ومغاربها؛ ابتهاجاً، وفرحةً، وتراحماً، في ذلك اليوم كما ابتهج بأحداثها سيدنا إبراهيم، وسيدنا إسماعيل، لذلك كان العاشر من شهر ذي الحجة، يوم عيد يجتمع فيه المسلمون على الفرحة والبهجة. أما في مناسك الحج فذلك اليوم هو "يوم نحر" مهما تعدد لكل من حج إلى عرفة في أشهر الحج الثلاثة.

وهكذا فإنَّ من المهم أن نُدرِك أنَّ عيد الأضحى، وإن كانت الأمة جميعها تنحر فيه، وتأكل من الأضحية، وتطعم منها الفقير، فهو غير يوم النّحر، فيوم النّحر هو اليوم

الذي يلي يوم الوقوف في عرفة، وهو أول أيام رمي الجمرات في مِنى التي يتذكر فيها الحاج في أيام شهور الحج، قصة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ويتصورها -بشكل محسوس- وهو يرمي الجمرات في أيام مِنى الثلاثة أو الأربعة التي تلي يوم وقوفه في عرفات خلال أيام شهور الحج الثلاثة.

وهكذا فإن "يوم النّحر" يحمل دلالته مهما تعدد من يقومون به خلال أداء شعائر الحج في شهور الحج الثلاثة مهما كان عدد الحجيج.

خامساً: رزق مكة وخدمة الحجيج بين الأمس واليوم

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٤).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ١٢٥-١٢٦).

ومما ندركه ونلمسه من أسباب اختيار هذا الموضع من الأرض ليكون موضع المسجد الحرام، هو أنه خال من كل ثروات الأرض وخيراتها وجميع ما تهفو إليه النفوس، إلا من بئر ماء واحدة، هي "بئر زمزم"، ليصفو الموضع للعبادة، ولقاء أبناء الأمة المسلمة، على اختلاف ألوانهم، وأجناسهم، ولغاتهم، إخوةً متحابين متآزرين. لذلك على أبناء الأمة أن يدركوا حقاً أن من معاني لقائهم للحج في حرم مكة والمسجد الحرام أن يتعارفوا إخوةً، وينبذوا جميع ألوان الكبر والعنصريات.

وقد أوكل الله لأهل مكة أمر خدمة البيت الحرام، ومن يؤمه من أبناء الأمة الإسلامية من كافة أرجاء الأرض راجلين (على أرجلهم) وراكبين، (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) وصدق الله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨) من سيارات وطائرات وغيرها من الوسائل التي ربما يكتشفها الإنسان ولا نعلمها الآن.

لقد أصبحت وتيرة التغير وتبدل الظروف سريعة جداً، فعدد سكان العالم منذ الخليقة حتى عام ١٩٥٠م كان ٢٥٠٠ مليون نسمة، بينما تضاعف إلى ٥٠٠٠ مليون نسمة عام ١٩٨٥م، واستمر العدد بالتزايد بوتيرة أسرع في السنوات الأخيرة. وإلى بضعة عقود سابقة كانت وسائل النقل والحركة إلى مكة وفي حرمها إنما هي الأرجل والخيل والبغال والحمير وعدد من السيارات تُعدّ على الأصابع، وكان وسيلة صعود النساء إلى مشاعر الحج هو "الشُّقْدُف" على ظهور الجمال، وعلى الأرجل وظهور الحمير للرجال. أما مكة المكرمة فكانت مساحتها كيلو مترات مربعة قليلة، وكان سكانها مكة أيضاً يُعَدُّون في أحسن تقدير بعشرات الألوف، وكان المسجد الحرام في حجمه، قبل أن تبدأ التوسعات يسع سكان مكة وضيوفها من الحجيج دون ضيق أو عناء.

لقد تغير الوضع كثيراً فتضاعف عدد المسلمين الراغبين في الحج، وأصبح سكان مكة المكرمة ومعهم سكان جدة المجاورة وسكان المدينة المنورة يعدون بالملايين، يخدمون البيت الحرام وحجاجه الكرام، وينالون ما ينالونه من خير ومنافع نتيجة ذلك، وسوف يكون من مصلحة هؤلاء الملايين من أبناء الحرمين والتوسعة في أرزاقهم أن يزداد عدد الحجيج عندما يتاح لعدد أكبر من المسلمين أداء مناسك فريضتهم.

هذا المفهوم لشهور الحج، إنما هو تيسير على المسلمين، وتمكين لهم، من أداء فريضتهم، وإرواء أشواقهم الروحية، بالطواف، والركوع، والسجود، وبالاعتكاف، في بيت الله الحرام. وتيسير الحج لكل مسلم، هو أيضاً تحقيق لدعاء سيدنا إبراهيم، أن يكرم الله أهل مكة بخدمة الحجيج، وخدمة الحرم، وتطهيره، وأن تكون لهم القدرة، على أن يكون الحرم أرض أمان.

أليس بقاء الأمر على ما هو عليه الآن من الموعد الواحد للحج تضييقاً على أهل مكة وما حولها، وعسرة وحسرة في نفوس المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، حين يمنعون من الحج، ولقاء عرفات، والطواف بالبيت، والصلاة والاعتكاف في المسجد الحرام؟!

إن اليوم غير الأمس، والحاجات والإمكانات لهذا العصر، غيرها عمّا سلف من العصور، ولهذا فإن الحاجة للاجتهاد والتجديد وإعادة تنزيل نصوص الدين على واقع العصر، لم يعد خياراً، ولكن حاجة آنية ملحة.

ولا شك في أنّ الله سبحانه قد اختص مكة المكرمة بوجود بيت الله الحرام فيها، وجعلها مهوى أفئدة المؤمنين وبناء هذا الكعبة على الصورة التي هي عليها، والطواف حولها في دوائر منتظمة، باتجاه محدد هو اتجاه حركة دوران الأرض، وتوجه المؤمنين في صلاتهم في كل أنحاء الأرض نحوها، كل ذلك لحِكَم بالغة. وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يأمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء بيته المحرم في هذا المكان من العالم وهو في الأصل واد غير ذي زرع: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧). فمكة ليس مكاناً يستقر فيه الناس استئناساً بإنتاجه الزراعي، فلا نهر ولا شجر، وهي في حرِّها، وجدب أرضها، وصلادة جبالها، ووعورة شعابها، لا يجعلها مكاناً للسياحة والاستجمام والمتعة. لذلك لا تصلح إلا للعبادة، ولنوع محدد من العبادة على وجه الخصوص وهو عبادة الحج.

ثم إنَّ عبادة الحج بدءاً بعقد النية على السفر من أي مكان في الأرض إلى مكة، ومروراً بمناسك الحج كلها لا تستقيم إلا بقدر كبير من الإخلاص في التوجه إلى الله بالعبادة والتجرد من كثير مما يألفه الإنسان في حياته العادية، ويندمج في كتلة بشرية ضخمة تتوحد في القيام بهذه المناسك بالطريقة نفسها، وتستعيد أحداث بناء الكعبة بيد أبي الأنبياء إبراهيم وولده نبي الله إسماعيل عليهما السلام، تنفيذاً لأمر الله في بنائها، بواد غير ذي زرع، وتستعيد قصة هاجر في سعيها من جبل إلى جبل (الصفا والمروة) تبحث عن الماء، وقصة إبليس وهو يزين لإبراهيم وإسماعيل رفض أمر الله سبحانه ورجمهما له بالحصى. وفي الحج نحر الأنعام إطعاماً للناس. وفيه يجتمع فيها المسلمون من كل لون وجنس ولغة على عرفة؛ ليتعاوفوا، لا يتميز حال أحدهم عن غيره بغنى أو منصب أو جاه.

لذلك لا معنى أي يأتي الزائر لمكة لغير هذه العبادة الفريدة.

الخلاصة:

من الواضح مما تقدم، أن فريضة الحج هذه، التي تَمْتدُّ إمكانية أدائها لكل مسلم في شهور الحج الثلاثة، وفقاً للمنطوق القرآني، في اجتهاد يستجيب ويتوافق مع حال هذا العصر، وظروفه الزمانية والمكانية، فإنها بهذا الاجتهاد تمكّن كل مسلم، من أداء فريضة الحج، وتصبح فريضة الحج فريضة يمكن أداؤها لكل من يرغب في أدائها من المسلمين، مهما كان عددهم، وبعدت أوطانهم.

والأمر الواجب المطلوب، على ضوء أحوال العصر، هو أن يهب كلّ ذي علم وفضل، ليمعن النظر والفكر والتدبر بكل الجدية، ويستدعي جميع جوانب الأزمة الراهنة المتمثلة في عدم قدرة أكثر المسلمين من أداء فريضة الحج، وهو إشكال نزل بالناس في هذا العصر بهذه الصورة التي لم يكن للناس عهد بها من قبل. وقد يكون حلُّه في إعادة النظر، في فهم المنطوق القرآني، ومفاهيمه التي تتعدى الزمان والمكان بشأن هذا الأمر، وفي أي أمر آخر من أمور حياة الإنسان حتى يوم الدين. وهذا يعني وجوب النظر في جميع وجوه "التجديد" الممكنة، لتحقيق الغايات القرآنية، والتيسير على الأمة في هذا العصر، وفيما سيأتي من عصور.

إنه من الصعب على المسلم، استئناساً بالنص القرآني، ومقاصده، وكذلك من الناحية العقلية، والنفسية، أن يسلّم بأن الله فرض فريضة، ووضع ركناً من أركان الدين، لا يمكن أداؤه، وذلك بسبب الاستمرار على أحوال العصور السالفة، التي كانت تقصر أداء فريضة الحج كل عام على أربعة أيام فقط هي أيام (التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر) من شهر ذي الحجة، فيكون أداء فريضة الحج مرة واحدة في العام "الهجري"، ومن ثمّ، يتحتم كما نشاهد أن يُحرِم جلّ المسلمين من أداء هذا الركن من أركان الإسلام.

والسؤال الموجه إلى علماء الأمة، ومفكريها وإلى جمهورها، هو: أما آن الأوان، لتقبّل مفهوم معاصر، لنصوص القرآن، يستجيب لمستجدات العصر، بشأن هذا الركن، وهو أن من يحجّ من المسلمين في أية خمسة أيام من أيام أشهر الحج، فقد صح حجه، وأدى فريضته وحقق الغايات الروحية والحياتية من حجه؟!

إننا نحسب أنّ النصّ القرآني، وبناء اللغة العربية وقواعدها لا يمنع من هذا "الاجتهاد"، بل يؤيده. ولعل في هذه الرؤية "الاجتهادية" ما يُمكّن الأمة في هذا العصر من "تجديد دينها"، في شأن الحج، ويُمكّن كل مسلم من أداء فريضة الحج، إنفاذاً لأمر الله سبحانه وتعالى، في أداء ما فرضه عليهم، والتشرف بأمنية الطواف بالبيت، وأداء الصلاة في المسجد الحرام، وتحقيق غايات الحج الروحية والإنسانية التي منها تعارف المسلمين جميعاً كأخوة في الله، على صعيد عرفة، على اختلاف القسمات والألوان واللغات والأوطان.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: ١٣).

هذا ما جال في خاطر ابن مكة، التي شاهد فيها على مدى عمر مديد من الأحوال ما جعله يعيش زماناً مضى، وزماناً حلّ وأتى، وهو ما دعاه لأن يطرح هذه الرؤية الاجتهادية مستفتياً علماء الأمة ومفكريها وجمهورها ومستنيراً بحواراتهم في هذا الشأن العظيم، الذي يهم الأمة في كل مكان.

أدعو الله سبحانه وتعالى، أن يأخذ أهلُ العلم والفكر وجمهورُ الأمة، هذا الأمر العظيم بكل الجد والاهتمام، والتمعن والتدبر فيه، ليصلوا بإذن الله، إلى ما فيه الخير والصواب. فلا تجتمع أمة الإسلام على ضلالة.

والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل.